"التناص في شعر محمود العوامي"
من خلال ديوان (كوفية مخضّبة)

الشعلاء جمعة خلاصة

جامعة طرابلس / كلية التربية / قصر بن غشير

المقدمة:

الحمدلله ربَّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ هذا البحث الذي الذي خصصته للحديث عن فن التناص عند الشاعر محمود العوامي من خلال ديوانه (كوفيه مخضبة) ما هو إلاَّ تحديد مقصود ونتيجة قراءة متأنية لنصوص الديوان والتي أسفرت عن ملامح بلاغية أهمها فن التناص فجعلته مدار الحديث في هذا البحث.

إشكالية البحث:

البحث يجب عن عدة تساؤلات مهمَّة يأتي في مقدمتها كيف استخدم محمد العوامي تقنية التناص في شعره وما هي الدلالات والرموز التي أضافتها هذه التقنية إلى نصوصه الشعرية؟ وكيف تتجلى ظاهرة التناص عند محمود العوامي لا سيما داخل هذا الديوان؟

وقد استعنت في هذه الدراسة بمنهج وصفي تحليلي ارتأيته مناسبًا لدراسة ظاهرة التناص.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن مدى جماليات النص الشعري، وكذلك كيفية الربط بين النص الموروث والنص المعاصر. كما تهدف الدراسة إلى كشف كيفية بناء الانسان الفنية لدى الشاعر.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات تناولت الشاعر العوامي تحديدًا ليس هناك أيَّة دراسة – فيما أعلم – فالشاعر حديث الظهور وديوانه لم يكد يرى النور إلاَّ من أشهر قليلة.

ولكن بالنسبة لموضوع التناص بشكل عام أو جزئي فقد سبقتني دراسات أذكر منها:

1. مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، أطروحة ماجستير لعبد المنعم محمد فارس سليمان، نوقشت سنة 2005م.
2. التناص الشعري (قراءة أُخرى في قضية السرقات) الدكتور مصطفى السعدي، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية لسنة 1991م.
3. دراسات النص والتناصية، ترجمها وقدَّم لها وعلَّق عليها الدكتور محمد البقاعي، الناشر مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأُولى لسنة 1998م.

وقد ارتكزت هذه الدراسة على هيكلية محددة وفق التالي:

مقدمة: أوجزت الحديث فيها عن فن التناص لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأوَّل: التعريف بالشاعر العوامي.

المبحث الثَّاني: التنـــاص الدينـــي.

المبحث الثَّالث: التناص الشعـــري.

المبحث الرَّابع: التنـــاص في الأمثـــال.

التوصيات.

الخـاتمـــة.

التمهيد:

التعريف بظاهرة التناص:

التناص ظاهرة معتادة على امتداد التاريخ الأدبي. وحاجة النصوص المعاصرة لها جوهرية وملحة، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ مصطلح (التناص) مصطلح غربي حديث ما يقابله لدينا في

تراثنا العربي حيث الاقتباس والسرقة والمعارضة والتضمين هذه المسميات التي انطوت تحتها معاني التناص.**(الطويل، 2010م : 106)**

وبالرجوع إلى المصادر اللغوية نجد أنَّ معنى كلمة (نصّ) هو الرفع والظهور والارتفاع وكل ما أظهر فقد نُصّ ومنه المنصَّة التي تظهر عليها العروس وغير ذلك من المعاني.**(ابن منظور، مج "8")**

وما محاولة قراءة تراثنا الأدبي والفكري إلاَّ استظهار ملفيها من قيم وأخلاق ومعارف وحضارات والتي تعد رافدًا من روافد تثبيت الهوية.**(يقطين، 1997: 39-40)**

وفي الاصطلاح عُرف مصطلح (التناص) في الدراسات الغربية الحديثة عند العديد من العلماء الغربيين من أمثال رولان بارت الذي عرَّفه قائلاً: "أنَّ كل نصّ هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء".**(مجلة علامات، 2008م، العدد "642"، مج "6")**

وأمَّا الناقدة البلغارية جوليا كرستيفا فترى: "أنَّ كل نض هو امتصاص أو تحويل لنصوص أُخرى"**(المصدر نفسه، 2004م، العدد "542"، مج "14")** وليس ببعتيد تعريف باحثين الذي يراهُ: "تفاعلاً نصيًا في نصّ بعينه أو تشرّب لنص أو تحويل إليه".**(المصدر نفسه)**

إذًا التناص هو تفاعل بين مجموعة نصوص فكل نص هو تناص والنصوص الأُخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصيَّة على الفهم بطريقة أو بأُخرى.**(مجلة TBXIB، 1983م، العدد "2") و (مجلة عيون، صبري حافظ، 1986، العدد "2"، ص 93)**

المبحث: الأوَّل

التعريف بالشاعر

هو محمود إدريس موسى محمد العوامي، نسبةً إلى قبيلة العوامي الموجودة بين بنغازي شرقًا ومصر غربًا والتي تنحدر من أصول يمانية حسب الروايات التاريخية.

ولد بمدينة بنغازي في الخامس من أغسطس سنة 988م – 1408 هـ ونشأ في بنغازي وتلقّى العلم في مدارسها التي برز فيها في مجاليْ العلم والقرآن الكريم. حيث التحق بمراكز الحفظ في سن مبكرة وقد أتمَّ حفظ القرآن كاملاً في الثَّامنة عشرة من عمره.

ثم أتمَّ دراسته في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة بنغازي فتخرَّج منها متحصلاً على ليسانس الدراسات الإسلامية في سنة 2010م.

ويشغل وظيفة معيد في نفس الجامعة بكلية الآداب سنة 2012م واستمر به المقام في الغرب الليبي بمدينة مصراته فأتمَّ فيها دراسة مرحلة الماجستير سنة 2021م.

ولا يزال يستكمل دراسته العليا لنيل الإجازة الدقيقة الدكتوراة حتَّى كتابة هذا البحث.

من مشايخه:

درس على الشيخ الدكتور أسامة محمد الصلابي الفقه والحديث وكتاب الشفاء للقاضي عياض والرقائق للبخاري وغيرها.

ودرس أيضًا على يد الشيخ الدكتور ناصر فرج العرفي مدونة الشيخ الصادق الغرياني في الفقه. ومنهج الاستدلال بالسُّنة النبوية، والأجرومية وقطر الندى وغيرها.

درس على يد الشيخ امراجع الطلحي الأجرومية وشرح ابن عقيل ودرس على يد الشيخ الشنقيطي شرح متن ابن عاشر في الفقه.

الإجازات العلمية التي تحصَّل عليها:

إجازة علمية في الكتب الستة في الحديث النبوي من الدكتور صهيب محمود السفار 2009م.

وثلاث إجازات بالقراءة والإقراء في شرح التحفة السنيَّة على متن الأجرومية لمحمد محي الدين عبدالحميد، الأولى من الدكتور ناصر العرفي 2008م، والثَّانية من الدكتور امراجع الطلحي 2001م، والثَّالثة من الشيخ الشنقيطي 2013م وثلاث إجازات في الخط العربي معتمدة، وإجازة الأربعين نووية للإمام النووي من الشيخ الدكتور القليب 2024م.

أعماله في العلم الأدب:

- قام بتدريس التحفة السنيَّة بشرح المقدمة الأجرومية. كذلك درسّ شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي.

- أعدَّ وقدَّم أعمالاً في قنوات محلية مثل قناة ليبيا الحرة 2011م وقناة التناصح الدينية، فقدَّم برنامجه (العنوان)، وكذلك (نسائم) الرمضاني، و(تلك الأمثال) وغيرها.
- شارك في مسابقات أدبية وشعرية فتحصَّل على جوائز عديدة منها لقب شاعر المصالحة في مجال الشعر العربي الفصيح والعامي 2017م وتحصَّل على الترتيب الأوَّل بمسابقة مهرجان التحبير 2009م وغيرها.

كتبه ومؤلفاته:

- له كتاب (الزهور الذرية في أخلاق خير البرية صلى الله عليه وسلم) صدر عن دار الكتب الوطنية بنغازي 2006م بالمشاركة.
- وكذلك كتاب (نماذج من سرديات من حق ضبطتهم في صحيح البخاري دراسة تطبيقية) دار الكتب العلمية، بيروت 2012م بالمشاركة.
- ديوان (رحاء الأحياء) قصائد بالفُصحى في رثاء شهداء الثورة الليبية 2011م بنغازي 2012م.
- ديوان (هذا محبك) قصائد في المديح النبوي، دار إمكان، طرابلس، 2024م.
- ديوان (كوفية مخضبة) قصائد في نصرة القضية الفلسطينية، دار المكان، طرابلس، 2025م.

المبحث الثَّاني: التناص الديني

تتجلى مظاهر التناص الديني في جلِّ قصائد هذا الديوان وكأنَّما تسلمنا إلى حقيقة أنَّ القضية الفلسطينية لا تحلُّ إلاَّ بالعودة إلى الدين واستلهام معانيه.

ويبدو أنَّ ثقافة الشاعر الدينية قد ألفت بظلالها على الروح الوطنية العالية المتجسدة في استجلاب القصص القرآني للتعبير عن صور البطولة والإباء فها هو يقول متحدثًا عن السنوار أحد القادة الفلسطينيين الذي استشهد في حرب غزة فرثاهُ في قصيدته (مجد يحيى)

فوق كرسيّه مات موت عزيز * وعصاه التي رماها العزاء (العوامي،2025 : 40)**

من هذا النص تنهال الصورة القرآنية المتمثلة في "وعصاه التي رماها" التي تحيلنا إلى إلقاء عصا سيدنا موسى عليه السَّلام أمام السحرة في القصة المشهورة فنستشعر قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 69]جلي اختلاف اللفظ ونسقه في الجملة بين النصين المستدعى القرآني والمحكي الشعري إلاَّ أنَّ الجامع بينهما المعنى ففي عصا السنوار الضربة القاضية في وجه أعدائه كما عصا موسى كانت الحجة الدامغة لانتصاره على أعدائه.

وتتوالى الاقتباسات من القصص القرآني بكمًا يخدم النصّ الشعري حيث يتحرك الشاعر بنصوص كغيره في مساحات ضيقة فيحشد المشاهد تعبيرًا عن مشاعر تجيش بالغضب والاحتجاج في قصيدته (وَطْفَاءةٌ):

من وسوسوا لأبينا في فرادسه * وحاربوا نوح أجيالاً من التيه**

هم أسهموا فرموا في اليم يونسهم ***ومن رموا يوسفًا في الجبّ يؤويه

هم اطفاءوا جذوة موسى مُضرمها * وأججوا نار إبراهيم بالفيه (الديوان، 80)**

ويسترسل الشاعر في سرد جرائم اليهود التي جذور تاريخية حتَّى أنَّ الأنبياء لم يسلموا من شرورهم وإن كانوا منهم فهم الشيطان الذي وسوس لأبينا آدم فأخرجهُ من الجنَّة قال تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36] وهم من حاربوا نوحًا ردحًا من الزمن قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14] ويشير كذلك إلى قصة سيدنا يونس التي استوحاها من قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: 87] مع تحويره الرائع لا سيما في ذكره لاسم النبي بصيغة يونسهم إمعانًا في توضيح عمق الأذية.

ويلخص لنا قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي وردت مفصلة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: 10] والتصريح بفعل الرمي في الجبّ يكاد يكون موافقًا لما جاء في الآية الكريمة.

ويشير في قصة سيدنا موسى إلماحًا إلى ما ورد في الآية الكريمة﴿﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29]

وكذلك يفعل مع قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث يستقي الحدث ليعبر عنه ببنائية مختلفة تنبئ عن قناعة خاصة بالشاعر وتحمل بُعدًا دلاليًا جديدًا.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68]

ويتمايز الشاعر عن غيره بمقدار قدرته الإبداعية في استلهام الصور المناسبة لنصّه ونراه يعبر عن وحشية اليهود فيقول من قصيدة (كوفية مخضبة):

يزيـد دمـــارًا

يستزيدون عزة

فيقصف أخرى سبعة وثمانية (الديوان، 15)

يحيلنا العدد سبعة وثمانية امتصاص ذكي للآية الكريمة ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة: 7]

ويعيد الشاعر صياغة بهذا المشهد الذي تتحدث عنه الآية الكريمة المتمثل في الريح التي أرسلها الله تعالى عذابًا لليهود جزاء خيانتهم ونقضهم للرسول الكريم في غزوة الخندق فعكس الشاعر هذه الصورة واستغلها لوصف قصف اليهود لأهل غزة اليوم وكأنَّما يخبرنا بتجدر الحقد اليهودي ومرجعيته الدينية.

واستطاع الشاعر التعبير عن حالة اليهود المتشظية وذلك باتكائه على الموروث الديني القديم المتمثل في أسماء الآلهة في العصر الجاهلي يقول العوامي في قصيدة (لأنَّك دفء)

لهم هبلان

وألف مناة

ومليون عُزة

ومليـون لات (الديوان، 46)

ومعلوم أن هبل ومناة والعُزة واللات أسماء معبودات ورد ذكرها في الآية الكريمة:﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: 19-20]

ويقوم الشاعر باستدعاء شخصية ذات بُعد ديني ليستحضر معها ما آلفته مخيلة الناس عنها فيقول ن قصيدة (وطفاءة):

ولا ننام

كأنا لا صلاة بنا

إلاَّ صـوت بـــلال ينـــاديـــه (الديوان، 79)

ولا شك أنَّ "الاسم المباشر في اللغة يدل على الذات وحدها"**(العقيلي، 12)** دون الكنية أو اللقب وهذا ما يتناسب مع شخصية بلال – رضي الله عنه – المعروفة بلفظها وما أُثر عنها من صوت جهوري ندي في الآذان.

واستدعاء مسميات بذاتها لا ينحصر في استدعاء شخصية وإنَّما يمتد إلى ذكر أسماء سور القرآن الكريم مباشرة دون تلميح أو تفصيل ولعلَّه بذلك يختزل الكثير من المعاني يقول العوامي في قصيدة (عام على الطوفان):

الخارجين الليل من أنفاقهم * ياسين زادًا فوقهم وحمولاً (الديوان، 31)**

وفي موضعٍ آخر من قصيدة (مجد يحيى):

ومحيّـاه فيه بهـــرة نـــور * رسمتها الأنفال والشعراء (الديوان، 41)**

ويبدو أنَّ تأخيره كراسم السورة سمة أسلوبية تميز بها شعر العوامي فضلاً عمَّا تحمله من معنى الإحاطة كما يطوّق العقد جيد الحسناء.

ويتنوع الموروث الثقافي لدى الشاعر فمقتبس من المعين النبوي صورًا مباشرة كالتي في قصيدة (الخلّص حيث لا ظل):

إنَّ القصيدة حين تحبس في هوى المحبوب

كانت فتنة ومضلة (الديوان، 21)

يتفاعل هذا النص مع قوله – صلى الله عليه وسلم: "اللهم أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة". **(الحديث الشريف)**

ولا يبدو هناك تغيير فهو مجرد كاجترار للموروث النبوي والتأثر بهديه.

وتتجلى براعة الشاعر في تطويع النص المستحضر ليخدم معاني نصّه فيقول في قصيدته (ارفع لواءك):

ليفسدون علوا مرتين

فإن أتاك يومك فاعلو

وارفــع الرأس (الديوان، 71)

ويشير هذا النص إلى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: 4]

هذا التقديم والتأخير في الألفاظ اختلافًا عن النص القرآني ليس إلاَّ محاولة لصياغة فنية جديدة يتبين فيها حذق الشاعر في انتقاء ما يناسب معاني نصّه تعميقًا واختزالاً.

وإن كانت "العلو" الأولى طغيانًا وفسادًا فإن العلو في البيت الثَّاني من التجليق والارتفاع شرفًا وإباءً وعزةً.

وفي مقام التضرع والشكوى إلى الله تعالى يأتي الاقتباس واضحًا جليًّا جلاء النفس المنكسرة لله الراضية بقضائه وقدره يقول الشاعر في قصيدة (شيء مريع):

لله نشكـــو ضعفنــا * إنا لــه ولــه الرجـوع (الديوان، 58)**

ويشد هذا النص في البيت الثَّاني إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] ولعل الشعر الأوَّل يستند إلى المعين النبوي حيت قال عليه الصلاة والسلام: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس .."**(الألباني، 1991)**

والاكتفاء بإعادة النصوص ليست سمة اعتيادية عند الشاعر وإنَّما إذا وجدت فقد تكون تشكّل خلفية لنصّه كما في قوله من قصيدة (ارفع لواءك):

قل نحن أمة خير الخلق

موعدها الأقصى المبارك

مهما خان من ساسا (الديوان، 70)

ويشير البيت الأوّل إلى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]

ومن قصيدة (لأنَّك دفء)

لأنّا وجدناك دفئًا أتينا

وكلّ إليك غدًا سوف يأتِ (الديوان، 46)

ويكاد النص هنا مأخوذًا بأكمله معناه دون لفظه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96] ولعل نظرة التقديس للمرجعيات الدينية لا سيما وأن ثقافة الشاعر دينية في المقام الأوّل هي من آلفت بظلالها على النصوص الشعرية داخل هذا الديوان.

المبحث: الثَّالث التناص الشعري

الإبداع الشعري له ماهيته وإن كانت أقلَّ شأنًا من القرآن الكريم وهو أيضًا يجلُّ قدرًا عن النصوص الأدبية الأُخرى.

يقول المتنبي: "لا أعرف شاعرًا جاهلاً ولا إسلاميًا إلاَّ وقد احتذى واقتفى، واجتذب واحتلب".**(مجلة علامات، 2004م، العدد "14")**

ولعلَّ الموروث الثقافي للشاعر الدافع الأكبر في اللجوء للمرجعية الشعرية لا سيما الشعر الجاهلي.

يقول العوامي في قصيدته (كوفية مخضّبة):

ســـلامًا

سلامًا ليس يبلى مع البلى عليهم

وقلبًـا بالكـرام مبـاهيًا (الديوان، 17)

بنائية النص تذكرنا ببناء القصيدة الجاهلية مع اختلاف الروى والقافية فكلمة "عليهم" الاحترازية هي من سماتهم لأسلوبهم ولعلَّ التناص هنا يكاد يكون حرفيًا مباشرًا إذ يقول طرفه بن العبد إلاَّ من مبلغ حي بن كعب بأنَّ السلام لا يبلى على البلى. **(معلقة طرفة بن العبد، 2008م، 32)**

ويفرض المقام نفسه لدى الشاعر إذا التقدير والاحترام لأهله لا يحوجنا لإشارة أو احتجاب يقول العوامي من قصيدة (ارفع لواءك):

واضرب لأهل البأس ألف تحية من أهل غزة

قم لهم تبجيلاً (الديوان، 36)

ولعلَّ شهرة البيت ومناسبته غنية عن التعريف يقول أحمد شوقي:

قـم للمعلـم وفِّهِ التبجيــلا * كاد المعلم أن يكون رسولا (شوقي، "ج1"، 224)**

ويجتر الشاعر أبياته الطللية ممن عرفوا .. يبدو أنَّ الإعجاب بالموروث القديم الدافع لأبياته من قصيدة (وطفاءة)

قد تصفر الدار

إلاَّ من معالمها

قد يقفر القلب إلاَّ من غواليه (الديوان، 78)

وهنا قريب جدًا من قوله طرفه بن العبد:

ولكنَّ الدار لا تفنى معالمها * ولا يفنى عهد الود ما دام باقيا (معلقة طرفة، 21)**

ومن موروث الحكمة يستدعي الشاعر في قصيدته (ارفع لواءك):

لا تغفـــــل اليـــوم * إنَّ النـــوم منقصة**

من يبتغ النصر غضًّا ***غُضّ أضــراسًا (الديوان، 69)

يتفاعل مع قول زهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة:

ومن يبتغي النصر إنَّ النصر يُبتغى * غُضّ بأضراس على النبت والعلم (الزوزني، 105)**

تكاد الألفاظ متطابقة في قوله: " أضراسًا" وكذلك المعنى الذي يدل على شدة التمسك والحفاظ وعدم التهاون ولعلَّ في هذا تعامل سكوني يقف عند رصد النص المستجلب وإعادة كتابته دون تغيير يذكر.

ويحيلنا الشاعر في امتصاص ذكي لزمن الفروسية والفرسان فيذكر من قصيدة (من نقطة الصفر):

هذا ابن غزة صنفٌ عزّ مطلبه * ومعدن النور كالأنواء في الظلم (الديوان، 53)**

يذكرنا هذا النص في معانيه الراقية بقول يشبه معناه على لسان أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قولي إذا جدّ جدهم * ** وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (الحمداني، 1995، 26)

فقد غيّر في البنائية النصية ولولا قرب المعنى لما استطعنا معرفة البيت المصدر لهذا النص الشعري.

ولعلَّ الالتفات إلى التراث القديم فيه إثبات للهوية المفتقدة والكيان المهدد **(الكلام والخبر، 39-40)** في ظل تخاذل القادة يقول العوامي من قصيدة (ارفع لواءك):

ارفع لواءك

نصر الله غايتنا

ومُدّ للسبع بالكفين أمراسا (الديوان، 70)

نمدُّ بأيدينا الأحبال المتينة (أمراسا) لنشد على أيدي الشجاع قائدنا للنصرة والتعبير بلفظه (أمراسا) للمتانة والقوة وجدناها عند أمرئ القيس الذي لم يجد تفسيرًا لطول ليله إلاَّ أنَّ النجوم قد شدت بأمراس إلى حجارة قوية فلا تتحرك من مكانها.

يقول امرؤ القيس:

فيالك من ليـل كـأن نجـومـه * بأمراس كتان إلى صم جندل (إبراهيم، 49)**

المبحث الرَّابع: تناص الامثال

من أقوال حازم القرطاجني: "لا حرج في تبادل المعاني ما دامت المفاضلة بين السابق واللاحق في اللفظ والجملة"**(القرطاجني، 1966م، 192)**

ولعلَّ أهمية التراث تكمن في المحافظة على أصالة العمل الأدبي ويمنح العوامي من ذاكرته التراثية لينسج قالبًا مغايرًا لمرجعية النص وإن جاءت ألفاظ المثل واضحة في ثنايا البيت من قصيدة (الخلّص حيث لا ظلّ):

يا موطن الشهداء

أرواح سمت

كم بالدماء زادوا لطينك بله (الديوان، 27)

فالدماء المسألة بغزارة على الأرض (الطين) اختلطت بها وغمرتها وصارت لزجه نتيجة لكثرة الشهداء الذين سقطوا في ساحات الحرب، وهذا المعنى مخالف لأصل المثل الذي اتكأ عليه الشاعر "زاد الطين بله"**(الميداني، 53)** حيث يقال عند ازدياد سوء الأمور وتعقدها.

وفي موضوع آخر يوظف الشاعر مثلاً سائرًا حيث يقول في قصيدة (الخلّص حيث لا ظل)

يا قائلي لا

للذي بلغ السهى ظلمًا

وعادى ربّه

وتأله (الديوان، 25)

عندما تتفاقم الأمور وتبلغ ذروتها ومنتهاها يعر الشاعر بجملة (للذي بلغ السعي ظلمًا) حيث يحيلنا إلى المثل القائل: (بلغ السيل الزبى)**(مجمع الأمثال، 128)** وهذا التحوير في كلمات المثل وإن توافق المعنى في النصين إلاَّ في النصين إلاَّ أنَّه محاولة إنشاء أفق دلالي جديد يلائم خصوصية الموقف.

ونستنبط من قصيدة (مجد يحيى) القائلة:

ماتواني

ولا تخفّى

بل أعطى

سيد الناس باذل (الديوان، 40)

المثل الذي ينسجم مع (سيد لناس باذل معطاء) هو (خادم القوم سيدهم)**(مجمع الأمثال، 326)** المعنى واحد والبناء اللفظي مختلف.

وباستخدام آلية أُخرى وهي الخاتمة غير المتوقعة مما يحرك ذهن المتلقي ويستشير عامل الإدهاش يقول في قصيدة (ارفع لواءك):

وقل لمحبــوبة ترجــوا لظفــارها ***عُدي معي الوقت أخماسًا وأسداسًا (الديوان، 68)

استطاع الشاعر اجترار النص المأثور في قوله: (أخماسًا وأسداسًا) المطابق للمثل السائر (ضرب أخماسًا في أسداسا)**(مجمع الأمثال، 155)** وكأنَّما يعد المحبوبة بعدم نوال مبتغاها وأن عليها أن تعيد حساباتها وهذا بعدد دلالي جديد.

وفي وضوح جلي لا يحتاج لإعمال فكر أو كثير عناء لمعرفة المثل المتكأ عليه يرد علينا مع إعادة ترتيب ألفاظه داخل النص الشعري يقول الشاعر في قصيدة (الخلّص حيث لا ظل):

إنَّ الحديد إذا تصَّلب

ما له إلاَّ الحديد

شديد بأس فلّه (الديوان، 21)

والمثل المتبعثر كلماته في هذا النص هو نفسه المثل القائل (لا يفل الحديد إلاَّ الحديد)**(مجمع الأمثال، 342)**

وعلى ما يبدو أنَّ إعادة ترتيب الكلمات ما هو إلاَّ يقصد بث الحركة والحيوية في النص تمامًا كحركة الحديد في مساحات القتال.

ودون تغيير ولا تحوير وإنَّما مجرد اجترار لما في الذاكرة نم موروث يقول مفتخرًا في قصيدة (ارفع لواءك):

وكن صلاحًا

وسيق الدين

كن عمرًا

هم الجدود

وكان العرق دساسًا (الديوان، 70)

وكان العرق دساسا هو نفس المثل (إن العرق دساس) **(مجمع الأمثال، 101)** لفظًا ومعنى دونما تغيير، وقد ورد هذا المثل في الحديث النبوي الشريف. **(أبوزيد، 2016: 115)**

الخاتمة

نتائج البحث:

لقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج مهمة وهي:

1. أن التناص له أنواع كثيرة وهذا التنوع يعتبر العتبة الأساسية للولوج إلى النص.
2. المساهمة في رصف رؤية الشاعر وتعضديها.
3. مصادر التناص متعددة لا تقف عند مصدر بعينه، ولعلَّ هذا ما بعث في النصوص الشعرية روح التجدد والحيوية.
4. تعدد طرائق التعبير عن التناص تارة بشكل مباشر وتارة بالإحالة والإشارة والتضمين.
5. التناص لم يأت في النصوص عبثًا وإنَّما مقصد من الشاعر استجلاءً لجماليات النص وفق ما تتطلبه الموافق وما تستدعيه الأحداث.
6. لعب التناص دورًا مهمًا في ربط الحدث المعاصر بالقديم المتوراث.
7. تأخير معظم أماكن الاقتباس إلى آخر النص وكأنَّما هي سمة أسلوبية للشاعر.

8. غلبة التناص الديني على نصوص الديوان وذلك راجع لثقافة الشاعر الدينية.

التوصيات

توصلت الدراسة لعدة توصيات مهمة أوردها كالتالي:

1. فن التناص فيه زخم فنّي رائع يلفت الانتباه للدراسة والتحليل في نصوصًا الشعرية.
2. الاهتمام بقراءة الدواوين الشعرية الليبية لا سيما الشعراء المغمورين.
3. العودة لتصفح كتب التراث الشعرية والنثرية لما لها من تأخير في إثبات هويتنا الأصيلة.
4. الاهتمام بتدريس أيّ القرآن الكريم لما فيها من قيم روحية تثري النفوس والنصوص.
5. الاهتمام بحفظ المعلقات والحكم والأمثال.

وفقنا الله لما يُحبه ويرضاه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. القرآن الكريم، رواية قالون عن نافع، دار الفجر الإسلامي، الطبعة الخامسة، 2010م.
2. الشوقيات، أحمد شوقي.
3. الكلام والخبر، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأُولى، 1997م.
4. الديوان (كونية مخضّبة) محمود العوامي، دار إمكان، الطبعة الأُولى، 2025م.
5. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة.
6. معجم لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار إحياء التراث العربي. مج 8.
7. منحة الجليل، لابن عقيل العقيلي، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة (14).

8. مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

9. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق الحبيب بلخوجة، تونس، 1966م.

10. ديوان امرئ القيس، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

11. ديوان أبي فراس الحمداني، قدَّم له وشرحه الدكتور على بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأُولى، 1995مز

12. معلقة طرفة بن العبد، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، 2008م.

13. شرح حلية طالب العلم، للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر دار كنوز، الرياض، السعودية، الطبعة الأُولى، 2016م.

14. سنن الترمذي، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، 1991مز

الدوريات والرسائل الجامعية:

1. مجلة علامات، العدد (642)، (542)، 2004م، 2008م.

2. مجلة عيون، صبري حافظ، العدد (2)، 1986م.

3. مجلة TBXIB، تصدر عن جامعة تورنتو، العدد (2)، 1983م.

4. التضمين وعلاقته بالتناص الاقتباسي، أ. آمنة الطويل، رسالة جامعية منشورة من (مجلة الجامعة) العدد (2) 2010م.